مَجلةٌ تُراثيَّة فصليَّةٌ محكَّمة

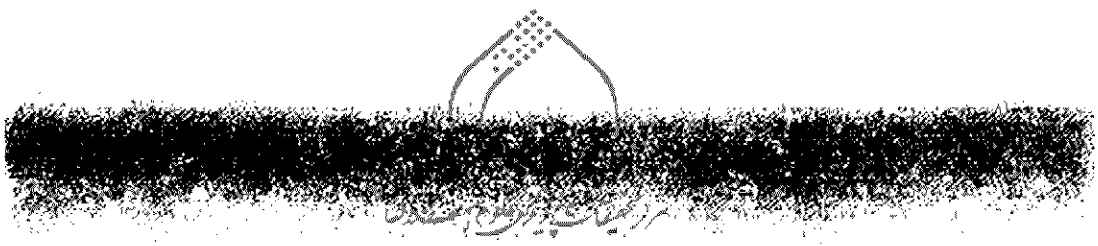

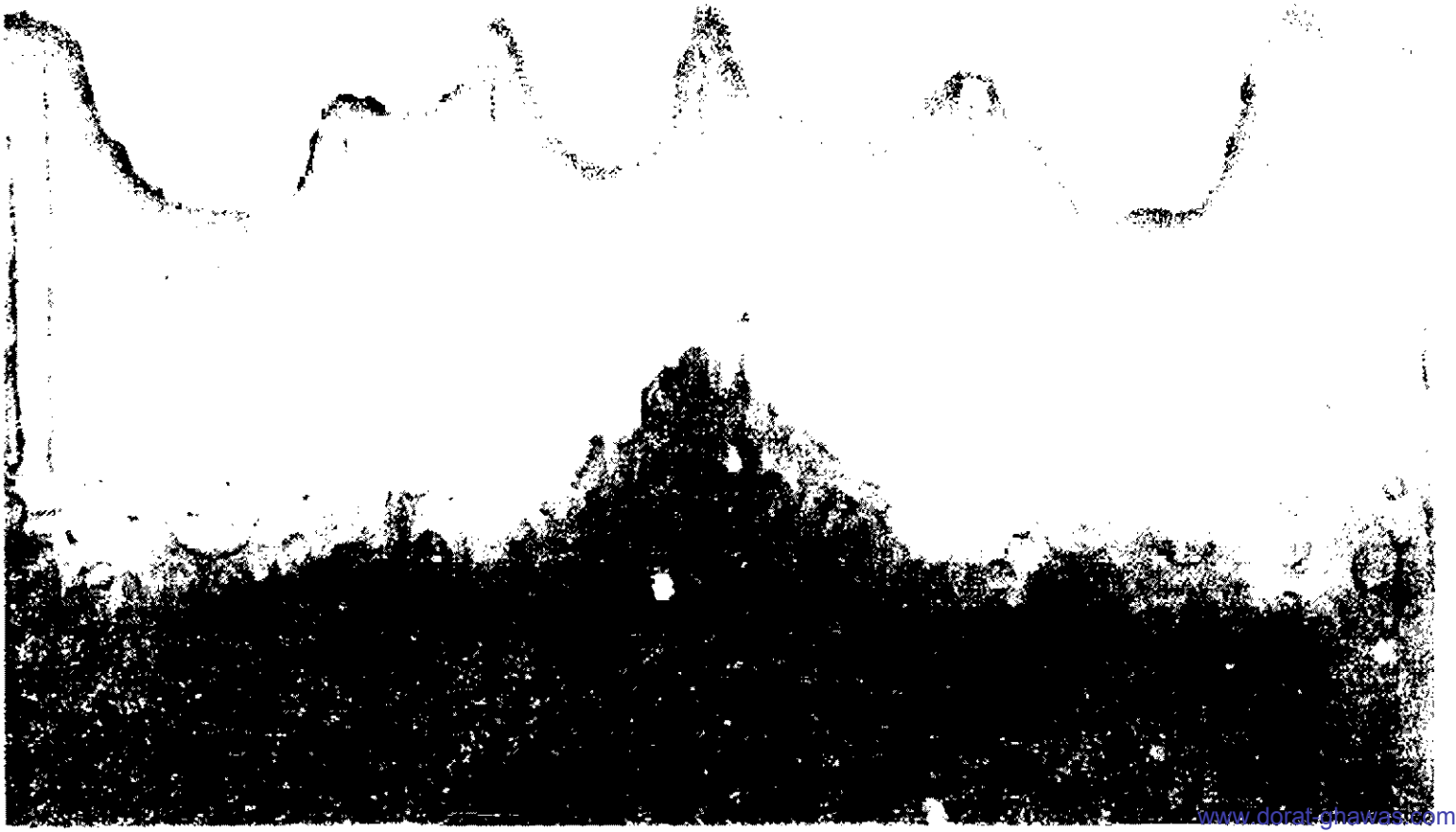

www.dorat-ghawas.com

المورد ـ العدد الثاني ـ المجلد الثلاثون

في هذا العدد

المحتوى

■ **الموردة**

• ومكر اولئك هو يبور ..... د . محمد البكاء ٣ ـ ٤

■ **بحوث ودراسات**

• جهود ابي عبيدة
في رواية الشعر ..... د . زكي ذاكر الفجر ٥ ـ ١٥

• تفاوت الشعر في
النقد العربي القديم ..... أ . د . فائزطه عمر ١٦ ـ ٢٤

• الخصيصه النصية في شعر الخوارج ..... د . عزمي الصالحي ٢٥ ـ ٣٠

• معالم اسلوبية عند ابن الاثير
من كتاب المثل السائر ..... د . احمد قاسم الزمر ٣١ ـ ٤٢

• الحقول الدلالية واشكالية المعنى ..... احمد جواد ٤٣ ـ ٤٧

• شعرية الخطاب واشكالية التجنيس ..... د . محمد صابر عبيد ٤٨ ـ ٥١

• جهود علماء الكوفة وبيوتها العلمية في
تواصل الثقافة العربية الاسلامية ..... د . نوري عبد الحميد العاني ٥٢ ـ ٥٩

• صفة الخلفاء ونقش خواتيمهم ..... د . محمد جاسم الحديثي ٦٠ ـ ٧٥

• تخطيط المدينة العربية القديمة ..... أ . د . حيدر عبد الرزاق كمونه ٧٦ ـ ٨٤

• رئيس المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي ..... أ . د . ناجي التكريتي ٨٥ ـ ٩٠

■ **نصوص محققة**

• المادة الصوتية في كتاب الايضاح
في القراءات للاندرابي ..... حقي عبد الرزاق لطيف الصالحي ٩١ ـ ٩٦

• شعر الحزين الكناني ..... عبد العزيز ابراهيم ٩٧ ـ ١١٢

• كتابان من المغرب ..... د . احمد مطلوب ١١٣ ـ ١١٧

■ **الجديد في المكتبة**

• ديوان عامر بن الطفيل العامري ..... أ . د . ايهم عباس القيسي ١١٨ ـ ١١٩

■ **اخبار التراث العربي** ..... حسن عربيي ١٢٠ ـ ١٢٦

■ **مطبوعات وصلت المجلة** ..... نجلة محمد ١٢٧ ـ ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

رئيس المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي

أ . د . ناجي التكريتي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

لقد اهتم الفارابي اهتماماً كبيراً برئيس المدينة الفاضلة ، حتى انه عده اكمل اجزاء المدينة كما ان العضو الرئيس في البدن يكون بالطبع اكمل اعضائه واتمها ، وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر افضله ، ودونه ايضاً اعضاء اخرى رئيسة لما دونها ، ورياستها دون رياسة الاولى ، وهي تحت رياسة الاول ، ترؤس وترأس ، فان رئيس المدينة ايضا ، دونه قوم مرؤوسون منه ويرأسون آخرين .

لا شك في ان ما ذهب اليه الفارابي هنا واضح تمام الوضوح ، اذا ما علمنا ان جسم الانسان يتكون من عدة اجهزة ، وكل جهاز يديره عضو ، وان هذا العضو في الوقت نفسه يدار من العقل او القلب ، الذي يدير اجهزة البدن ، دون ان يرأسه عضو آخر . وهكذا الامر في رئيس المدينة الذي يرأس جميع الاجهزة فيها ولا يرأسه انسان اخر ، مع ان من هذه الاجهزة المدنية رؤساء آخرين دونهم في المرتبة الاجتماعية والسياسية .

الفارابي انن يرى ان القلب يزيل كل خلل يحدث في اي عضو من اعضاء البدن ، وان رئيس المدينة ، بوصفه العضو الرئيس في المدينة ، فان اختل اي جزء منها هو المرفد له ما يزيل عنه اختلاله . لا شك في ان الاعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم في الافعال الطبيعية التي هي على حسب غرض الرئيس الاول بالطبع بما هو اشرف ، اما ما دونها من الاعضاء ، فيقوم بالافعال بحسب طبيعته دون ذلك الشرف الاول ، حتى ينتهي الامر الى الاعضاء التي تقوم من الافعال ابسطها . الاجزاء ايضا كلما قربت مرتبتها من رئيس المدينة تفعل من الافعال اشرفها ، ومن دونهم يعمل دون ذلك الشرف ، الى ان ينتهي الى الاجزاء التي تفعل من الافعال ابسطها . ويفسر الفارابي ماذا يعني بالافعال البسيطة (الخسيسة) ، فيقول انها تلك الاعمال التي تكون سهلة جداً .

قد يعني الفارابي هنا ، الافعال التي لا تحتاج الى جهد فكري ولا الى حصيلة فنية ، اي انها الاعمال البسيطة التي لا تصعب على الرجل المادي .

رئيس المدينة مهم جداً بنظر الفارابي ، حتى انه يرى ان على اجزاء المدينة ان تحتذي بافعالها حذو مقصد رئيسها الاول على الترتيب ، وذلك انه يشبه نسبة السبب الاول الى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة الى سائر اجزائها . ان الموجودات البريئة من المادة تقرب من الاول ، ودونها الاجسام السماوية ، ودون السماوية الاجسام الهيولانية . وكل هذه تحتذي حذو السبب الاول وتأتم به وتقتفيه . ان ذلك يفعله كل موجود ، بحسب قوته ، وذلك ان الابسط يقتفي غرض ما هو فوقه قليلاً ، وذلك يقتفي غرض ما هو فوقه . وعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض السبب الاول .

لا شك من ان اهتمام الفارابي برئيس المدينة يعود بسبب انه عاش في بغداد ، وسط مناظرات المتكلمين واهتمامهم بالامامة وتشعب فرقهم حول طاعة الامام واختيار الامام ؟ هو الراس ، وكما ان الجزء الرئيس في البدن هو بالطبع اكمل اعضائه واتمها في نفسه ، وفيما يخصه ، وله من كل يشارك فيه عضو اخر ، افضلها ، ودونه ايضاً اعضاء أخر رئيسة لما دونها برئاستها ، ودون رئاسة الاول ، وهي تحت رئاسة الاول ترؤس وترأس كما ان رئيس المدينة هو اكمل اجزاء المدينة هو اكمل اجزاء المدينة فيما يخصه ، وله في كل ما شارك فيه قوم مرؤوسون ويرأسون آخرين .

رئيس المدينة عند الفارابي هو الامام ، وهذا من دون شك تعبير اسلامي ، ولا سيما ان الفارابي لايجيز ان يرأسه آخر ، لان الامام عند المسلمين كالراس للجسم او كالقلب ، كما يعبرون عنه .

رئاسة المدينة الفاضلة ، بنظر الفارابي ، لا يمكن ان تكون لاي انسان كيفما اتفق ، لان الرئاسة تكون بشيئين : احدهما ان

www.dorat-ghawas.com

يكون بالفطرة والطبع معداً لها ، والثاني بالارادة والتجربة والممارسة . وكما ان الرئيس الاول في جنس لا يمكن ان يرأسه شيء من ذلك الجنس ، مثل رئيس الاعضاء ، فانه هو الذي لا يمكن ان يكون عضو اخر رئيساً عليه ، وكما هو حاصل في كل رئيس بالجملة .

الرئيس الاول للمدينة الفاضلة ايضاً ، ينبغي ان تكون صناعته صناعة ، لا يمكن ان يخدم بها اصلًا ولا يمكن فيها ان ترأسها صناعة اخرى اصلًا ، بل تكون صناعته صناعة نمو غرضها تؤم الصناعات كلها ، واياه يقصد بجميع افعال المدينة الفاضلة . ان ذلك الانسان لا يرأسه انسان اصلًا ، بل يكون ذلك الانسان انساناً قد استكمل فصار عقلًا ومعقولًا بالفعل . ان قوته المتخيلة قد استكملت بالطبع غاية الكمال ، وان عقله المنفعل قد استكمل المعقولات كلها ، حتى لا يكون يخفى عليه منها شيء ، وصار عقلًا بالفعل ، وان اي انسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها ، وصار عقلًا بالفعل ومعقولًا بالفعل ، وصار المعقول منه هو الذي يعقل . يحصل له حينئذ عقل ما بالفعل ، رتبته فوق العقل المنفعل ، أتم واشد مفارقة للمادة ، ومقاربة من العقل الفعال ، ويسمى العقل المستفاد : انه يصير متوسطاً بين العقل المنفعل والعقل الفعال ، ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر . اما الانسان الذي يحل فيه العقل الفعال ، واذا حصل ذلك في كلا جزأي قوته الناطقه وهما النظرية والعملية ، ثم في قوته المتخيلة ، كان هذا الانسان هو الذي يوحى اليه بتوسط العقل الفعال ، فيكون بما يفيض منه الى عقله المنفعل حكيماً فيلسوفاً ، وبما يفيض منه الى قوته المتخيلة ، يكون نبياً منذراً ، ان هذا الانسان هو اكمل مراتب الانسانية وفي اعلى درجات السعادة ، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال . يكون له قدرة على جودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه ، وقدرة على جودة الارشاد الى السعادة والى الاعمال التي بها تبلغ السعادة ، وان يكون له مع ذلك جودة ثبات ببدنه لمباشرة اعمال الجزئيات .

الرئيس اذن لا يرأسه انسان آخر اصلًا . انه رئيس المدينة الفاضلة ، ويعني الفارابي هنا بالمدينة الواحدة (دولة المدينة) كما انه رئيس الامة الفاضلة ، وهنا لا شك في ان الفارابي يقصد بالامة الفاضلة ، الامة الاسلامية ، لكن الفارابي ابى فوق هذا وذاك ، نراه يضرب ضربة عبقرية ، عندما يضيف قائلًا : وهو رئيس المعمورة من الارض كلها ، وهكذا نرى ان الفارابي اول فيلسوف ، في تاريخ الفكر الفلسفي ، يتحدث عن رئيس واحد لسكان الارض قاطبة . لا شك في انه ذهب بثاقب بصيرته الى امكانية قيام مجتمع فاضل واحد كبير ، يضم ساكني المعمورة كلها ، يدير شؤونهم رئيس واحد .

اما الخصال التي اشترطها الفارابي في رئيس المدينة الفاضلة ، فهي :

١ ـ ان يكون تام الاعضاء ، قواها مؤاتية اعضاءها على الاعمال التي شانها ان تكون بها ، ومتى همّ بعضو ما من اعضائه عملٌ يكون به ، أتى عليه بسهولة .

٢ ـ ان يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ، فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الامر في نفسه .

٣ ـ ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه ، وفي الجملة لا يكاد ينساه .

٤ ـ ان يكون جيد الفطنة ذكياً ، اذا رأى الشيء بادنى دليل فطن له على الجهة التي دلّ عليها الدليل .

٥ ـ ان يكون حسن العبارة ، يؤاتيه لسانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة .

٦ ـ ان يكون محباً للتعلم والاستفادة منقاداً له ، سهل القبول ، لا يؤلمه التعلم ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه .

٧ ـ ان يكون غير شره على الماكول والمشروب والمنكوح ، ومتجنباً اللعب بالطبع .

٨ ـ ان يكون محبا للصدق واهله ، مبغضا للكذب واهله .

٩ ـ ان يكون كبير النفس محباً للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الامور ، وتسمو نفسه بالطبع الى الارفع منها .

١٠ ـ ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنده .

١١ ـ ان يكون بالطبع محباً للعدل واهله ، ومبغضاً للجور والظلم واهلهما ، ويكون مؤاتياً لكل ما يراه حسناً وجميلًا ، ثم ان يكون عدلًا غير صعب القياد ، ولا جموحاً ولا لجوجاً ، اذا دُعي الى العدل ، بل يكون صعب القياد اذا دعي الى الجور والى القبيح .

١٢ ـ ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذى يرى انه ينبغي ان يفعل ، جسوراً عليه مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس .

نلاحظ ان الفارابي وهو يضع الخصال التي يشترطها في رئيس المدينة الفاضلة ، تكاد تكون اغلبها فكرياً . لا شك في انه يريد ان يكون رئيس المدينة تام الاعضاء ، وهذا شيء طبعي ، اذ ليس من المعقول ان يكون رئيس مدينة فاضلة وهو مصاب بعاهة كبيرة في احد اعضائه ، تمنعه من ممارسة القيام بواجبه الشروط الباقية اذن تهم العقل ، فرئيس المدينة الفاضلة يجب ان يكون جيد الفهم وعنده تصور لما يجري حوله ، وسريع الحفظ والادراك . كما نرى ان على رئيس المدينة الفاضلة ان يكون حسن العبارة ، وهذا دليل على فطنته وسعة معرفته ، ومع هذا يبقى دائم المحبة للتعلم ليقوده الى الكمال . وان يبتعد عن الشره ، ليكون في حياته معتدلًا ، زاهداً في المال ، وفي الوقت نفسه يكون قوي العزيمة

www.dorat-ghawas.com

على الحق ، محباً للعدل مبغضاً للظلم .

الفارابي يوجب الدقة باختيار الحاكم ، فليس كل انسان يمكن ان يكون رئيساً للمدينة الفاضلة ، التي يريدها الفارابي ، لا بد ان يكون الرجل الحاكم كاملاً على المستويين العقلي والجسمي ، اذا كانت الحاجات الاجتماعية والاوضاع السياسية تدعو الى وجود الحاكم ، فان الفارابي يذهب الى اكثر من ذلك ، ليقول ان على الحاكم الحقيقي ان يكون ذا عقل كلي ، يدرك المثل والكمالات ، انه اذن يريد ان يكون الحاكم مثالاً للرجل الكامل ، الذي تتمثل فيه الصفات المثالية التي تخلو من كل انفعال وكل طمع في شهوات ومغريات الحياة . ان هم الحاكم الاول هو مطالب الملة العامة ، فينظر الى كل ما هو عام وضروري . الفارابي باختصار يريد من رئيس المدينة ان يكون فيلسوفاً ، لان صلاح المجتمع يكون ـ برأي الفارابي ـ اذا ما تولى امور الملة امام منزه من الهوى ، وقادر على النظر في الامور الالهية ، اي ان باستطاعته الى الوصول الحقيقة الكاملة . ان الفارابي باختصار يريد من حاكم المدينة ان يتمثل فيه حب الحكمة وحفظ الشريعة وحسن الاستنباط وجودة الفهم والارشاد . ان الحكمة اذن شرط اساس ينبغي ان يتمتع بها حاكم المدينة ، لان الحاكم الذي يفتقر الى الحكمة ، يكون على يديه هلاك المدينة .

لعل اهم ما يميز المدن الفاضلة عند الفارابي ، هي الرئاسة الحكيمة . ان المدينة الفاضلة تحتاج الى تدبير وتنظيم ، والى حكيم يوجه الناس الى الطريق الصواب . ان ذلك يتاتى برئاسة تمكن الافعال والملكات في المدينة او في الامة ، وتجتهد في ان تحفظها عليهم حتى لا تزول عنهم ولا تبيد . ان قيام الجماعة عند الفارابي منوط بوجود قائد ، وان المدينة الفاضلة منوط قيامها بوجود حاكم حكيم .

ان الرئاسة اذن حاجة ضرورية ، وان السياسة علم ، لان رئيس المدينة كان قد عرف الفلسفة ومارس الحكمة ، وانه وحده القادر على اسعاد الناس . ان الفلسفة سبيل قويم لاصلاح الملك ، مع ذلك فان الفارابي لا يريد من الحاكم الفيلسوف ان يقتصر على معرفة الفلسفة النظرية فحسب ، بل عليه ان يكون عملياً في معاملة الرعية ، وله القدرة على اقناعهم على سلوك الدرب الصواب .

لاشك ان الذي يهم الفارابي ، هو اصلاح الملة الاسلامية ، ولا سيما اصلاح ملكها المتمثل بالخلافة ، ليتحقق ازدهار الدولة الاسلامية . الفارابي باختصار يريد من حاكم المدينة الفاضلة ان يكون قريبا من الله ، ليكون على بينة من امره ومن اصلاح رعيته . يقول الفارابي في كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة « ولا يمنع ان يكون الانسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال ، الجزئيات الحاضرة والمستقبلة او محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالاشياء الالهية » .

ان النبي برأي الفارابي يمتاز عن الفيلسوف من حيث ان له رسالة يمكنه من ان يبلغها الى الناس في كل مكان . ان النبوة برأي الفارابي تبنى على فكرة ان الانسان مختار من لدن الله لوحيه ، وبالرغم من تفوقه بذكائه وفضيلته ، ويجب ان يكون من الطبيعة نفسها ومن النوع عينه بالقياس الى الاخرين . ان مهمة النبي انن لا تقتصر على تلقي الوحي ، بل عليه ان يكون رئيس المدينة ومدبرها . ان تهذيب العامة وارشادهم لا يتم عن طريق الفلسفة بل عن طريق النبي ، فهو يقول : « ان المدينة لا تصل الى كمالها الا عن طريق النبي والوحي ، وذلك بفضل رسالة الهية موجهة اليهم » .

الفارابي يشترط توفر الحكمة لاية رئاسة ، فهو يقول في كتاب تحصيل السعادة : « ان معنى الفيلسوف والرئيس الاول والملك والامام ، معنى كله واحد ، واية لفظة ما اخذت من هذه الالفاظ ثم اخذت ما يدل عليه كل واحد منها عند جمهور اهل لغتنا وجدتها كلها تجتمع في آخر الامر في الدلالة على معنى واحد بعينه » . وفي كتابه المدينة الفاضلة يقول : « ان لم تكن الحكمة جزءاً من الرئاسة ، وكانت فيها سائر الشرائط ، بقيت المدينة الفاضلة دون ملك ، وكان الرئيس القائم بامر هذه المدينة ليس بملك ، وكانت المدينة تعرض للهلاك » . وفي كتاب الملة يقول : « انها لا تكون رئاسة فاضلة ، بل تكون رئاسة جاهلية وسياسة جاهلية ومهنة جاهلية ، بل لا تسمى ملكاً ، لان الملك عند القدماء ما كان بمهنة ملكية فاضلة » .

ان رئيس المدينة الحق ، بنظر الفارابي ، هو « واضع النواميس ، الذي له قدرة على ان يستخرج بجودة فكرته شرائطها ، التي بها تصير موجودة بالفعل وجوداً ، تنال به السعادة القصوى » . الفارابي انن يحاول التوفيق بين النبي والفيلسوف ، وذلك يرى ان يكون رئيس المدينة قادراً على التخيل والعمل ، وهكذا يرى ان الفلسفة والشريعة هدفهما واحد ، من حيث ادراك الخالق ، والتشبه بالله ، ليرقى بنفسه ، ثم ان يعمل على ترقية الآخرين في الدولة والمدينة . اي كما ان الله يدبر العالم ، فان الرئيس الفاضل يدبر شؤون المدينة الفاضلة .

يشير ابو نصر بعد ذلك ، الى ان اجتماع هذه الصفات كلها في انسان واحد امر صعب ، ولا يحدث الا قليلاً ، وفي الواحد بعد الواحد . اذا اتفق ان لا يوجد مثل هذا الرئيس في وقت من الاوقات فلا باس ان تؤخذ الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس الاول ،

www.dorat-ghawas.com

اما الرئيس الذي يخلفه والذي سماه الفارابي : الرئيس الثاني ، فيجب ان تجتمع فيه ست شرائط :

١ ـ ان يكون حكيماً

٢ ـ ان يكون عالماً حافظاً للشرائع والسنن والسير التي دبرها الاولون للمدينة ، محتذياً بافعاله كلها حذو تلك بتمامها .

٣ ـ ان يكون له جودة استنباط فيما لا يُحفظ عن السلف . ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتذيا حذو الائمة الاولين .

٤ ـ ان يكون له جودة روية فيما يستجد من الامور والحوادث ، وان يكون متحريا بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة .

٥ ـ ان يكون له جودة ارشاد بالقول الى شرائع الاولين ، والى التي استنبط بعدهم ، مما احتذى فيه حذوهم .

٦ ـ ان يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة الحرب .

لا شك ان ابا نصر يقصد بالرئيس الثاني ، الرئيس الذي يأتي بعد النبي ، او الذي يباشر ادارة المدينة بعد الملك الفيلسوف . وهكذا نرى ان الفارابي يدرك صعوبة وجود انسان واحد يتصف بالصفات السابقة ، فهو يقول بعد ذلك ، اذا لا يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط ، ولكن وجد اثنان احدهما حكيم ، والثاني فيه الشرائط الباقية ، كانا رئيسين في هذه المدينة .

يذهب الفارابي الى اكثر من ذلك في نظرته الى ديمقراطية الحكم ، او الى وجود الخصال التي يريدها ان تتمثل في رؤساء المدينة ، ولا سيما صفة الحكمة ، فانه يقول اذا تفرقت هذه الخصال في جماعة من الناس كانوا هم الرؤساء على شرط ان توجد الحكمة في احدهم . الذي يهم الفارابي اذن ان تكون الرئاسة صفة الحكمة والفلسفة وقوة العقل ، وتكون باقي الخصال موزعة كل خصله في احد منهم ، شريطة ان يكونوا عند ذاك الرؤساء الافاضل للمدينة الفاضلة . اما اذا خلت الرئاسة من الحكمة فان المدينة تتعرض للهلاك .

نلاحظ ان الفارابي يمزج بين الدين والفلسفة في معالجته مسالة رئيس المدينة الفاضلة ، فهومن ناحية يرى وجوب ان يكون رئيس المدينة حكيماً فيلسوفاً . من ناحية ثانية يرى ابو نصر ، ان الامام هو الراس في المجتمع . لا شك ان رأي الفارابي هذا متاثر المتكلمين ومناظراتهم حول الامامة وحول طاعة الامام واختياره . اضافة الى انه كان يعيش في دولة اسلامية تؤمن بالخلافة ، التي اعقبت موجد القوانين الاول ، وهو النبي ﷺ .

الفارابي لا ينسى ان يشير الى اهداف الملك للمدينة ، فيقول ان غرض الملك ومقصوده هو ان يدبر المدن ، وان يحقق السعادة لنفسه ولاهل مدينته ، لان هذه هي الغاية والغرض من المهنة الملكية ، يذهب ابو نصر الى اكثر من هذا ، فيقول ان من الضروري ان يكون الملك اكمل سعادة ، حتى يكون السبب في اسعاد اهل المدينة الفاضلة .

يلاحظ الفارابي ، ان هناك من يرى ان الغاية المقصودة بالملك وتدبير المدن ، هي الجلالة والكرامة والغلبة ونفاذ الامر والنهي ، وان يطاعوا ويعظموا ويمجدوا ، ويجعلوا سنن المدينة سنناً يصلون بها الى هذا الفرض ، بعضهم يصل الى ذلك بان يستعمل مع اهل المدينة ويحسن اليهم ، ويوصلهم الى الخيرات ، ويحفظها عليهم ، ويؤثرهم بها دونه ، فينال بذلك الكرامة العظيمة .

ان هؤلاء من رؤساء الكرامة افضل رؤساء ، وآخرون يرون انهم يستحقون الكرامة باليسار ، فيحاولون ان يكونوا ايسر اهل المدينة ليفوزوا باليسار والكرامة ، وبعضهم يرى ان يكرّم بالحسب فقط ، وآخرون يفعلون ذلك بقهر اهل المدينة وغلبتهم واذلالهم وترهيبهم ، وآخرون يرون ان الفرض من تدبير المدن هو الوصول الى اليسار ، حتى انهم يسنون السنن التي يصلون بها الى اليسار .

نلاحظ ان الفارابي ، يفرق بين الرئيس الذي يؤثر اليسار ليكرم عليه ، وبين من يؤثر الكرامة وان يطاع ليثرى . كما ان من الرؤساء من يرى ان الغاية من تدبير المدن هي التمتع باللذات ، وهناك آخرون يرون جمع هذه الثلاث ، وهي الكرامة واليسار واللذات .

وهؤلاء لا يصح ان يسمى احدهم ملكاً . ان الملك هو ملك بالمهنة الملكية ، وبصناعة تدبير المدن ، وبالقدرة على استعمال الصناعة الملكية ، سواء اشتهر بصناعته ام لم يشتهر به ، وجد قوماً يطيعونه ام لا يطيعونه ، يضرب الفارابي مثلًا بالطبيب ، فهو طبيب بمهنته ، وقدرته على ممارسة المهنة الطبية ، سواء أصادف مرضى يقبلون قوله ويطبقونه ام لا ، فهذا لا ينقص من طبه شيئاً ، الملك ايضاً هو ملك بالقدرة على استعمال الصناعة ، اكرم ام لم يكرم ، موسراً كان ام فقيراً ، عندما يشير بعضهم الى ان من صفات الملك ، التسلط بالقهر والاذلال والترهيب والتخويف ، نرى الفارابي يرد قائلًا : ان هذه ليست من شرائط الملك .

يطلب الفارابي من الرئيس الاول ، ان يتصل بالعقل الفعال ، كما جاء في كتابه (السياسة المدنية) فهو يقول : ان الرئيس الاول على الاطلاق ، هو الذي لا يحتاج ولا في شيء اصلًا ان يرأسه انسان ، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل ، ولا تكون له به حاجة في شيء الى انسان يرشده . ان له قدرة على جودة ادراك شيء ، معا ينبغي ان يعمل على الجزئيات ، وقوة على جودة الارشاد لكل من سواه الى كل ما يعلمه ، كما ان له قدرة على استعمال كل من سبيله ان يعمل شيئاً ما في ذلك العمل ،

www.dorat-ghawas.com

الذي هو معد نحوه، وقدرة على تقدير الاعمال وتحديدها وتسديدها نحو السعادة. ان ذلك يكون في اهل الطبائع العظيمة الفائقة اذا اتصلت نفسه بالعقل الفعال. ان الرئيس الاول يبلغ ذلك، بان يحصل له اولاً العقل المنفعل، ثم ان يحصل له بعد ذلك العقل الذي يسمى المستفاد، وان بحصول العقل المستفاد، يكون الاتصال بالعقل الفعال.

ان هذا الانسان، بنظر الفارابي، هو الملك في الحقيقة، وهو الذي ينبغي ان يقال فيه انه يوحى اليه. ان الانسان يوحى اليه، اذا بلغ هذه الرتبة، وذلك اذا لم يبق بينه وبين العقل الفعال واسطة. ان رئاسة هذا الانسان هي الرئاسة الاولى، وان سائر الرئاسات الانسانية متاخرة عن هذه وكائنة عنها. ان الناس الذين يدبر امرهم هذا الرئيس، هم الناس الفاضلون والاخيار والسعداء. اذا كانوا امة فهم امة فاضلة، واذا كانوا مجتمعين في تجمع واحد كانوا مدينة فاضلة.

ان مثل هؤلاء الرؤساء اذا كانوا جماعة في مدينة واحدة او امة واحدة او في امم كثيرة، فان جماعتهم جميعاً تكون كملك واحد، وذلك لاتفاق هممهم واغراضهم واراداتهم وسيرهم. واذا توالوا في الازمان واحداً بعد آخر، فان نفوسهم تكون كنفس واحدة، ويكون الثاني على سيرة الاول، ومن يأتي بعده، يكون على سيرة الماضين.

ان سكان المدينة يتفاضلون في الرئاسة والخدمة بحسب فطر اهلها والآداب التي تأدبوا بها. ان الرئيس الاول هو الذي يرتب الطوائف، وكل انسان من كل طائفة في المرتبة بحسب ما يستحقه. ان ذلك يكون ترتيب رئاسات، تنزل بحسب الاستحقاق، عن الرتبة العليا قليلاً قليلاً، الى ان تصير الى مراتب الخدمة، التي ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة اخرى. ان الرئيس حين يرتب هذه المراتب في المدينة او الامة، كي تكون المدينة مرتبطة الاجزاء بعضها ببعض، ومؤتلفة مع بعضها، وذلك بتقديم بعض وتاخير بعض.

ان الرئيس الذي هو مدبر المدن، ان واجبه ان يدبر المدن تدبيراً ترتبط به اجزاء المدينة بعضها ببعض، وتأتلف وترتب ترتيباً، يتعاون به الجميع على ازالة الشرور وهدفهم من وراء ذلك تحصيل الخيرات. ان الهدف الرئيس هو ابعاد كل ما هو ضار، والاجتهاد في ان يصير نافعاً، وهكذا يكون العمل على ابطال الشر وايجاد الخير، ان الواجب العام هو الافعال المحمودة، كي ينال المجتمع السعادة. وعلى الرئيس الا يقتصر في تعليم الافعال الحسنة، بل ان يعمل بها، ويأخذ اهل المدينة بفعلها.

يرى الفارابي ان هناك من يستطيع ان يرأس ويرشد، وهو الرئيس الاول، ومنهم من يستطيع ان يرشد اذا رأسه آخر، وهذا هو الرئيس الثاني، ومنهم من لا يستطيع ان يرأس ولا يرشد، وهؤلاء هم العامة، الذين على الرؤساء ارشادهم والاخذ بايديهم الى الطريق الصواب. الرئيس الاول لا يحتاج ان يرأسه احد. والرئيس الثاني هو الذي يرأسه انسان ويرأس انساناً اخر او اناساً اخرين. ان مثل هذه الرئاسات ليست مقصورة على السياسة وتدبير المدن، بل هي موجودة في كثير من الاعمال والصناعات، مثل الزراعة والتجارة.

اما الرئاسات الجاهلية ـ كما يراها ابو نصر ـ فهي في العادة تكون على المدن الجاهلية. ان كل رئاسة جاهلية اما يكون القصد بها، واما التمكن من الضروري، واما اليسار، واما التمتع باللذات، واما المنزلة والمديح واما الغلبة. لذلك فان هذه الرئاسات قد تشترى بالمال، وخاصة الرئاسات التي تكون في المدينة الجماعية، لان ليس لاحد هناك اولى بالرئاسة من احد. ان الرئيس عند مثل هؤلاء، هو الذي يتمكن من ان ينيلهم شهواتهم واهواءهم على اختلافها. اما الرئيس الفاضل، فانهم لا يرضون به، فاذا اتفق ان رأسهم، فهو اما مخلوع او مقتول او مضطرب الرئاسة منازع فيها.

ويضيف الفارابي في كتاب (الملة) قائلاً، ان الرئيس الاول قد يلحقه ويعرض له ان لا يقدر الافعال كلها ويستوفيها، فيقدّر اكثرها، وقد يلحقه في بعض ما يقدّره ان لا يستوفي شرائطها كلها، بل يمكن ان تبقى افعال كثيرة مما سبيلها ان تقدّر فلا يقدرها لاسباب تعرض: اما لان المدينة تخترمه وتعاجله قبل ان يأتي على جميعها، واما الاشغال ضرورية تعوقه من حروب وغيرها، واما لانه لا يقدّر الافعال الا عند حدوث حادث، وعارض عارض، مما شاهده او مما يسأل عنه، فيقدّر حينئذ ويشرّع ويسن ما ينبغي ان يعمل في ذاك النوع من الحوادث.

ويذهب الفارابي بعد هذا الى القول: فاذا خلفه بعد وفاته من هو مثله في جميع الاحوال كان الذي يخلفه هو الذي يقدّر ما لم يقدّره الاول، وليس هذا فقط، بل له ايضاً ان يغير كثيراً مما شرّعه الاول، فيقدّره غير ذلك التقدير اذا علم ان ذلك هو الاصلح في زمانه. اما اذا مضى واحد من هؤلاء الائمة الابرار، الذين هم الملوك في الحقيقة، ولم يخلفه من هو مثله في جميع الاحوال، احتيج في كل ما يعمل في المدن التي تحت رئاسة من تقدم الى ان يحتذى في التقدير حذو من تقدم ولا يخالف ولا يغير، بل يبقي كل ما قدره المتقدم على حاله، وينظر الى كل ما يحتاج الى تقدير مما لم يصرح به من تقدم، فيستنبط ويستخرج من الاشياء التي صرح الاول بتقديرها، فيضطر حينئذ الى صناعة الفقه، وهي التي يقتدر الانسان بها، على ان يستخرج ويستنبط صحة تقدير شيء بشيء، مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده عن الاشياء

www.dorat-ghawas.com

التي صرح فيها بالتقدير، وتصحيح ذلك بحسب غرض واضع الشريعة بالملة باسرها، التي شرعها في الامة، التي لهم شرعت.

يفسر الفارابي رأيه بقوله ان الرئاسة الفاضلة ضربان: رئاسة اولى ورئاسة تابعة للاولى الرئاسة الاولى هي التي تمكّن في المدينة او الامة، السير والملكات الفاضلة اولًا من غير ان تكون فيهم قبل ذلك وتنقلهم مع ذلك عن السير الجاهلية الى السير الفاضلة. ان الذي يقوم بهذه الرئاسة هو الرئيس الاول، اما الرئاسة التابعة للأولى فهي التي تقتفي في افعالها حذو الرئاسة الاولى. ان القائم بهذه الرئاسة يسمى رئيس السنّة وملك السنة، ورئاسته هي الرئاسة السنية. والمهنة الملكية الفاضلة الاولى تلتئم بمعرفة جميع الافعال التي بها يتاتى تمكين السير والملكات الفاضلة في المدن والامم، وحفظها عليهم وحياطتها واحرازها عن ان يداخلها شيء من السير الجاهلية، فان تلك كلها امراض تعرض للمدن الفاضلة على مثال ما عليه مهنة الطب، فانها انما تلتئم بمعرفة جميع الافعال التي تمكّن الصحة في الانسان وتحفظها عليه وتحوّطها من ان يعرض لها شيء من الامراض.

يذكر ابو نصر مؤيداً رأيه: ان الطبيب الكامل انما تتم له مهنته حتى يتاتى بها الافعال الكائنة عن تلك المهنة بقوتين اثنتين: احداهما بالقدرة على معرفة الكليات التي هي اجزاء صناعته على الاطلاق وباستيفائها، حتى لا يشذ عنه شيء ثم بالقوة التي تحدث له عن طول افعال صناعته في شخص فشخص، كذلك حال المهنة الملكية الاولى، فانها تشمل اولًا على اشياء كلية، وليس يجتريء في ان يفعل افعالها تلك بان يكون قد استوعب معرفة الاشياء الكلية وبقدرته عليها دون ان يكون معه قوة اخرى استفادها عن طول التجربة والمشاهدة، يقدر بها على تقدير الافعال في كميتها وكيفيتها وازمانها وسائر ما يمكن ان تقدّر بها الافعال.

يذكّر الفارابي الرئيس الاول بواجب آخر، وهو ان عليه ان يحصي اصناف المهن الملكية، غير الفاضلة والرئاسات كم هي، ويعطي رسوم الافعال التي تفعلها كل واحدة من تلك المهن الملكية حتى يُنال بها غرضها من اهل المدن التي تحت رئاستها، عليه ايضا ان يبين ان تلك الافعال والسير والملكات التي هي غير فاضلة، هي امراض المدن الفاضلة، وسيرها وسياساتها امراض المهنة الملكية الفاضلة، واما الافعال والسير والملكات التي في المدن غير الفاضلة، فهي امراض المدن الفاضلة.

لا ينسى ابو نصر بعد هذا ان يوصي الرئيس الفاضل، بان يحصي كم الاسباب والجهات التي تحيل الرئاسات الفاضلة وسير المدن الفاضلة الى السير والملكات غير الفاضلة وكيف تكون استحالاتها الى غير الفاضلة، كما ان على الرئيس الفاضل ان يحصي ويعرّف الافعال التي بها تضبط المدن والسياسات الفاضلة حتى لا تفسد ولا تستحيل الى غير الفاضلة، والاشياء التي بها يمكن اذا استحالت ومرضت ان تُرد الى صحتها.

ان المهنة الملكية الفاضلة الاولى لا يمكن ان تكون افعالها عنها على التمام الا بمعرفة كليات هذه الصناعة، بان تقرن اليها الفلسفة النظرية، وان ينضاف اليها التعقل، وهو القوة الحاصلة عن التجربة الكائنة بطول مزاولة افعال الصناعة، في آحاد المدن والامم والجماعات، وتلك هي القدرة على جودة استنباط الشرائط، التي تقدّر بها الافعال والسير والملكات بحسب جماعة جماعة، او مدينة مدينة، او امة امة، اما بحسب وقت قصير او بحسب وقت ما طويل محدود، او بحسب الزمان ان امكن، وتقديرها ايضا بحسب حال حال يحدث، وعارض عارض يعرض في المدينة او في الامة او في الجمع، وان هذه هي التي تلتئم بها المهنة الملكية، الفاضلة الاولى. واما التابعة لها التي رئاستها سنيّة، فليس تحتاج الى الفلسفة بالطبع. لا شك ان الاجود والافضل في المدن والامم الفاضلة، ان يكون ملوكها ورؤساؤها الذين يتوالون في الازمان على شرائط الرئيس الاول. كما ينبغي ان يُعمل، حتى يكون ملوكها الذين يتوالون على احوال من الفضيلة واحدة باعيانها، واي شرائط يُتفقد في اولاد ملوك المدينة، حتى ان وجدت في واحد منهم، أُمل فيه ان يصير ملكاً على مثل حال الرئيس الاول.

المصادر:

الفارابي:

١ ـ اراء اهل المدينة الفاضلة، القاهرة.

٢ ـ احصاء العلوم، تحقيق عثمان امين، القاهرة ١٩٣١

٣ ـ تحصيل السعادة، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ

٤ ـ التنبيه على سبيل السعادة، حيدر آباد الدكن ١٣٤٦

٥ ـ الدعاوى القبلية، حيدر اباد الدكن ١٣٤٩ هـ

٦ ـ رسالة في السياسة (مقالات فلسفية قديمة) بيروت ١٩١١

٧ ـ السياسة المدنية، تحقيق فوزي النجار بيروت ١٩٦٤

٨ ـ عيون المسائل، ليدن ١٨٩٠

٩ ـ فصول المدني تحقيق دنلوب ـ كمبردج ١٩٦١

١٠ ـ فلسفة افلاطون، تحقيق روزنثال ووالتر، لندن ١٩٤٣

١١ ـ كتاب الفصوص، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ

١٢ ـ كتاب الملّة، تحقيق محسن مهدي بيروت ١٩٦٨

١٣ ـ مقالة في معاني العقل (الثمرة المرضية) ليدن ١٨٩٠

www.dorat-ghawas.com